

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل الله شرح حديث ازهد في الدنيا يحبك الله

مقدمة

- 1 - راوي الحديث
- 2 - الحديث، إسناده ومن خرج
- 3 - البحث النحوي
- 4 - البحث اللغوي
- 5 - الزهد في القرآن والحديث
- 6 - ما هو الزهد؟
- 7 - أنواع الزهد ومراتبه
- 8 - من هو الزاهد ومن هو المتزهد؟
- 9 - الزهد على غير سنة ما حكمه
- 10 - أيهما أفضل التوكل أم الكسب؟
- 11 - فائدة
- 12 - خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد، فقد قال الإمام النووي في الأربعين النووية: الحديث الحادي والثلاثون: عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس. حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

مقدمة:

إن أفضل الكلام كلام الله وأحسن الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن جوامع هديه وكلمه صلى الله عليه وسلم ما جمعه الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي رحمه الله تعالى والذي ولد في نوى من حوران في بلاد الشام سنة 631هـ وتوفي بها سنة 676هـ. ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم الحديث الشريف الذي نحن بصدد النشر بالتعليق عليه تشبهاً بالكرام عسى ولعل، مع فوائد أرى ذكرها بالمناسبة تجمل وتنفع، أعني ما رواه ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس فقال له صلى الله عليه وسلم:

ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس

وهو من الأحاديث الشريفة التي هي من أصول السنن كما يقول أبو داود السجستاني: أصول السنن في كل فن أربعة أحاديث: حديث عمر الأعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وحديث ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس. ولعالم قریش الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه كما في ديوانه وقيل للحافظ أبي الحسن طاهر بن معوذ المعافري الأندلسي كما في شرح السيوطي على سنن النسائي:

عمدة الدين عندنا كلمات
اتق الشبهات وازهد ودع ما
أربع من كلام خير البريه
ليس يعنك واعملن بنيه

1 - راوي الحديث:

أما الراوي فهو سيدنا أبو العباس وقيل أبو يحيى سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي المدني، كان اسمه حزنا فسماه النبي سهلا قال الزهري سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وكان له يوم وفاة النبي خمس عشرة سنة وتوفي بالمدينة سنة ثمان وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين، قال ابن سعد وهو آخر من مات من أصحاب النبي بالمدينة ليس فيه خلاف وقال غيره بل فيه خلاف. روي له عن رسول الله مائة حديث وثمانية وثمانون حديثا اتفقا على ثمانية وعشرين وانفرد البخاري بأحد عشر، روى عنه الزهري وأبو حاتم وغيرهما. اهـ. من تهذيب الأسماء واللغات.

2 - الحديث، إسناده ومن خرج:

أما إسناده هذا الحديث فمداره عند معظم من رواه على خالد بن عمرو القرشي الأموي عن سفيان الثوري عن أبي حازم سلمة بن دينار المدني المخزومي عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أما سلمة بن دينار الأعرج فقد كان من أئمة المدينة و أما سفيان الثوري فقد كان من أئمة الورع والاجتهاد. وأما خالد بن عمرو القرشي الراوي عن سفيان فقد ذكره علماء الجرح والتعديل في كتبهم فقال أحمد إنه منكر الحديث ومثله قال البخاري وأبو زرعة. أما ابن حبان فقد تناقض في أمره فذكره مرة في كتاب الثقات وأخرى في كتاب الضعفاء.

وقد خرج العقيلي حديثه هذا في الضعفاء الكبير وقال ليس له أصل من حديث سفيان الثوري، قال وقد تابع خالدا عليه محمد بن كثير الصنعاني ولعله أخذه عنه ودلسه لأن المشهور به خالد هذا. اهـ.

و محمد بن كثير هذا قد ذكره في التقريب فقال صدوق كثير الغلط. اهـ. والتدليس أنواع كإيهام بالسماع يراد به إخفاء عيب في الإسناد كأن يروي عن لقيه أو عاصره ما لم يسمعه منه أو أن يحذف شيخه أو شيخ شيخه من الإسناد لتحسينه، قال ابن حجر في نزهة النظر إن حكم من ثبت عنه التدليس إذا كان عدلا أن لا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث على الأصح.

والحديث مروي من طرق أخرى أضعف مما ذكرنا منها ما ذكره أبو بكر بن الخطيب من متابعة أبي قتادة الحراني ومهران بن أبي عمر الرازي اللذين رواياه عن الثوري؛ اهـ.

أما الأول فاسمه عبد الله بن واقد قال ابن حجر في التقريب متروك وكان يدلس وأما الآخر فهو مهران بن أبي عمر الرازي وقد ذكره كذلك في التقريب فقال صدوق له أو هام سيئ الحفظ.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي بعد أن ذكرهما: لكن محمد بن كثير خير منهما فإنه ثقة عند كثير من الحفاظ.

وقد روي الحديث من وجوه أخرى ضعيفة منها ما أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في المواعظ وابن عدي في الكامل والعقيلي في الضعفاء كما تقدم، ومنها المرسل عن ربعي بن حراش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في مسند إبراهيم بن آدم من جمع الحافظ أبي سليمان الدمشقي، وابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا من رواية علي بن بكار عن إبراهيم بن أدهم وقال في حديثه: فانبذ إليهم ما في يدك من الحطام.

وهذا الحديث قد خرج زيادة على من ذكرنا البيهقي في شعب الإيمان وابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء والطبراني في الكبير والقضاعي في مسند الشهاب وأبو نعيم في الحلية وفي تاريخ أصبهان ورواه الحاكم في المستدرک وصححه إلا أن الذهبي رد تصحيحه له، وذكره الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه مضعفاً له مورداً ما ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية من ضعف الحديث بسبب خالد بن عمرو إلا أنه نقل كذلك ما أورده النووي من تحسين هذا الحديث وكذلك ما ذكره الحافظ عبد العظيم المنذري في كتاب الزهد من الترغيب والترهيب وهو قوله: وقد حسن بعض مشايخنا إسناده وفيه بعد لأنه من رواية خالد بن عمرو وقد ترك واتهم ولم أر من وثقه، لكن على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة لا يمنع كون راويه ضعيفاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاله وقد تابعه عليه محمد بن كثير الصنعاني عن سفيان ومحمد هذا قد وثق على ضعفه وهو أصلح حالاً من خالد والله أعلم. اهـ.

وقال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة: وأخرجه أبو نعيم في الحلية أيضاً من حديث منصور بن المعتمر عن مجاهد عن أنس رفعه ورجاله ثقات ولكن في سماع مجاهد من أنس نظر وقد رواه الأثبات فلم يجاوزوا به مجاهداً. اهـ. وقد كرر النووي تحسين إسناده هذا الحديث في الأذكار وفي رياض الصالحين قائلاً حديث حسن رويناه في كتاب ابن ماجه وهو ما نقله السخاوي في المقاصد كذلك عنه وعن الحافظ العراقي.

وقال ابن حجر الفقيه في شرح الأربعين غاية الأمر أنه حسن لغيره لا لذاته، اهـ. والحسن لغيره هو الضعيف إذا تعددت طرقه أو تأيد بما يرجح قبوله، قاله العلامة ظفر أحمد العثماني التهانوي في كتابه قواعد في علوم الحديث، وقال ابن حجر في أجوبته عن أحاديث وقعت في مصباح السنة للبغوي: وإذا جاء الخبر من طريقين كل منهما ضعيف قوي أحد الطريقين بالآخر. اهـ.

وهو أي الحديث الحسن حجة كالصحيح وقد أدرج في كلام كثير من المحدثين في أقسام الصحيح كالحاكم وابن حبان وغيرهما، وإن لم يصل إلى درجته. هذا وقد كان مما مدح به الإمام المجتهد أبو حنيفة رضي الله عنه وهو أهل لذلك تقديمه العمل بالحديث الضعيف على الرأي والقياس إن لم يكن في الباب غيره كما ذكر السخاوي والذهبي.

ثم إنه لا يمتنع العمل بالضعيف في الفضائل كما نص عليه أئمة كثيرون كأحمد وابن المبارك وغيرهما إلا أن يكون في الحلال والحرام، وأما في صفات المولى تبارك وتعالى والعقائد فلا يحتج إلا بالمتفق على صحته بلا خلاف وقال بعض العلماء لا يحتج في العقائد إلا بالحديث المشهور، إلا أن العلاني ذكر أن من شرط جواز العمل بالحديث الضعيف أن يكون الضعف غير شديد فأخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين ومن فحش غلطه، وزاد ابن عبد السلام وابن دقيق العيد شرطين أولهما أن يكون مندرجاً تحت أصل عام والثاني أن لا يعتقد عند العمل الجزم بأنه ثابت لنسب ينسب إلى النبي ما لم يقله، وهذه الشروط الثلاثة لم يتعرض لها المتقدمون إلا أن كلامهم لا ينفى عنها ولا يرد على ذلك منع ابن العربي المالكي من العمل بالحديث الضعيف مطلقاً فإنه مغاير لكلام من سبقه أو لحقه من أهل هذا الشأن كالحافظ ابن حجر وغيره، على أنه لا يمتنع أن يكون ضعيف الإسناد صحيح المتن لوروده من طريق آخر بإسناد صحيح أو لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله في نفس الأمر وإن لم يثبت إسناداً من حيث الصناعة الحديثية، ومن أراد الزيادة ففي مقدمة ابن الصلاح وشرح تدريب النووي للسيوطي كفاية.

3 - البحث النحوي:

قوله عليه الصلاة والسلام: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس.

ازهد: فعل أمر مبني على السكون الظاهر على آخره. والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت.

في: حرف جر لا محل له من الإعراب.

الدنيا: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف الممدودة للتعذر، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ازهد.

يحبك: فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وعلامة جزمه الفتحة تخفيفاً عوضاً عن السكون إذ أريد إدغام الباء الثانية في الأولى التي نقلت حركتها وهي الكسرة إلى الحاء منعاً لالتقاء الساكنين والأصل يحبك.

وإعراب ازهد فيما عند الناس يحبك الناس مثل ذلك.

4 - البحث النحوي:

قال الفيروز ابادي في القاموس المحيط: زهد فيه كمنع وكرم زهداً وزهادة أو هي في الدنيا والزهد في الدين ضد رغب. اهـ. وفي معجم المقاييس في اللغة لابن فارس: زهد، الزاء والهاء والdal أصل يدل على قلة الشيء، والزهد الشيء القليل. اهـ. قال الحافظ ابن رجب ومعنى الزهد في الشيء الإعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه يقال شيء زهيد أي قليل حقير. اهـ.

وأما الحب فقد قال في القاموس المحيط: الحب الوداد. اهـ. أما محبة الله للعبد فلا يجوز تفسيرها بميل القلب لنتزّه الله عن ذلك بل يصرف عن ظاهره إلى ما يليق بالله تعالى كما قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام في الإمام في بيان أدلة الأحكام، وفي المفردات للراغب المحبة ثلاثة أوجه محبة للذة ومحبة للنفع ومحبة للفضل، أما محبة الله للعبد فإنعامه عليه ومحبة العبد لله تعالى طلب الزلفى لديه. اهـ. وقال السمين الحلبي في عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: قوله تعالى يحبونهم كحب الله، محبة الله تعالى للعباد إرادة الخير بهم وغفران ذنوبهم ولذلك قال الأزهرى إنعامه عليهم بالغفران ومحبة العباد لربهم ولرسوله طاعتهم لهما وامتنثال أوامرهما واجتتاب نواهيهما وعليه قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، وقال تعالى إن الله لا يحب الكافرين أي لا يغفر لهم. اهـ. وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر أن المراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له. اهـ.

5 - الزهد في القرآن والحديث:

إن الله تعالى قد أرسل رسوله بدين الحق ليظهره على الدين كله وأرسله بفضائل الأعمال والأخلاق ونزل عليه القرآن الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيه من الأمر بالزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة ما لا يخفى على مؤمن بل ولا على كافر لما اشتهر ذلك بين الناس جميعهم من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم بل وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأصحابهم الكرام ومن اتبعوهم بإحسان رضي الله عن الجميع عملاً بما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز في أكثر من آية فقد قال الله تعالى: قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى؛ وقال عز وجل: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم؛ وقال تعالى: اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد؛ وقال تعالى: بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى؛ وقال عز وجل: تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة؛ وقال تعالى: وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع.

فالقرآن الكريم قد ذم الرغبة في الدنيا في أكثر من آية كما تقدم وكذا الحديث الشريف كحديث لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء رواه الترمذي وقال صحيح غريب من هذا الوجه، وفي حديث آخر رواه الترمذي والحاكم إن الله إذا أحب عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء، وفي مسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؛ وفي الطبراني يا معاذ إياك والتنعيم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين؛ وفي البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك، وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء؛ وفي مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها.

على أنه لا يسعنا في هذه العجالة أن نستوعب الآيات والأحاديث التي ترهد في الدنيا وترغب في الآخرة لكثرتها.

6 - ما هو الزهد؟

قد تكلم الناس في الزهد قديماً وحديثاً إلا أن الزهد كان في الأولين فعلاً ثم قولاً متحدثين في ذلك بنعمة الله تعالى عليهم ما يزيدهم زهداً زيادة في شكر المنعم تبارك وتعالى قال تعالى: لنن شكرتم لأزيدنكم، إذ الفضل له تعالى أولاً و آخرأ وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته الزهد بما كان عليه من التواضع وترك التمتع وحته أصحابه الكرام رضي الله عنهم على ذلك وأنه الموصول إلى الدرجات العلى وأن عكس الزهد في ما أوجب الله تعالى الزهد فيه والاستغراق في التمتع بما حرم الله عز وجل من علامات الشقاء وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً من التمتع في حديث الطبراني الذي سبق يا معاذ إياك والتنع وهو ليس خاصاً بمعاذ رضي الله عنه إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم فكان يوصي بعضهم بعضاً بذلك فقد روى مالك في الموطأ عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه أدرك جابر بن عبد الله ومعه لحم فقال ما هذا فقال يا أمير المؤمنين قرمنا إلى اللحم فاشتريت بدرهم لحماً فقال عمر أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه عن جاره أو ابن عمه أين تذهب عنكم هذه الآية: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها، اهـ، وكان أحمد بن سليمان النجاد الفقيه يصوم الدهر ويفطر كل يوم على رغيف يترك منه جزءاً فإذا كانت ليلة الجمعة تصدق بالرغيف وأكل ما استفضل من القطع رحمه الله.

مما تقدم من الآيات والأحاديث استخرج العلماء معاني للزهد ألفاظها مختلفة ومعانيها متقاربة تعرض لذكرها غير واحد منهم القشيري في رسالته حيث ذكر اختلاف السلف في الزهد ومنها ما قال سفيان الثوري وأحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهم إن الزهد في الدنيا إنما هو قصر الأمل، وأما عبد الله بن المبارك وشقيق البلخي ويوسف بن أسباط فقالوا إن الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر، وهذا وذاك من أمارات الزهد إذ أن قصر الأمل من الأسباب الباعثة على الزهد والعبد لا يقوى على الزهد إلا أن يكون ذا ثقة بالله تعالى متوكلاً عليه عز وجل، وقال أبو سليمان الداراني الزهد ترك ما يشغل عن الله عز وجل وهو قول حسن يجمع معاني ما تقدم.

وقال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء، معناه أن من قصر أمله أحب لقاء الله تعالى وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه، وقد قال تعالى منكرأ على اليهود مظهراً كذبهم: قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، ثم قال عز وجل: ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين.

وفي مصنف ابن أبي شيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أزهد الناس فقال من لم ينس القبر والبلى وترك أفضل زينة الدنيا وأثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه من الموتى.

7 - أنواع الزهد ومراتبه:

فالزهد شرعاً أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل وهو زهد العارفين وهو المراد بالحديث المراد شرحه، وهو أخص من الورع إذ الأخير ترك المشتبه، يدل عليه ما ذكره السلمي في طبقات الصوفية أن يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه سئل كيف يكون زاهداً من لا ورع له؟ فقال: أن يتورع عما ليس له ثم يزهد في ما له، وهذا كلام نفيس يدل على تقديم ما هو واجب من التورع عما لا يحل للعبد تناوله ثم يزهد في ما أحل الله له إيثاراً لما يبقى على ما يفنى وهذا طريق من رغب بما عند الله عز وجل.

وأما الزهد في الحرام فواجب عام وفي المشتبه فمندوب عام على تفصيل في المشتبهات المذكورة في حديث الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام، متفق عليه، فقد يكون الوقوع في الشبهات لمن لا يعلم حكم الشرع فيها حراماً لأنها مشتبهة عليه لا يعلم حكمها وتكون مما حرم الله فيصادفها وهو جاهل فيقع في الحرام وهو مصداق حديث: فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام.

والزهد المراد في هذا الحديث هو الاقتصار على أقل ما تقوم النفس به إلا الزائد المندوب كثوب لنحو جمعة أو عيد بقصد إظهار النعمة لحديث أحمد والترمذي إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده قال الترمذي هذا حديث حسن.

أما الزهد في ما في أيدي الناس فإنه يترتب عليه حب الناس له ذلك أن الناس مقبلون على الدنيا يقتل بعضهم بعضاً لأجلها فمن نافسهم في محبوبهم كرهوه ومن تركه لهم أحبوه، وما أحسن قول عالم قریش الإمام الشافعي في ديوانه:

هي الدنيا فلا يغضبك منها ولا من أهلها سفه يعاب
لتطلب جيفة وتال منها وتكر أن تهارشك الكلاب

وفيه له رضي الله عنه:

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت لذي الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس أكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك أن لا تأمن النارا
وله رضي الله عنه كما في شرح ابن علان الصديقي على رياض الصالحين:
وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجنبتها كنت سلماً لأهلها وإن تجتذبها ناز عتك كلابها

8 - من هو الزاهد ومن هو المتزهد؟

قال شقيق البلخي: الزاهد الذي يقيم زهده بفعله والمتزهد الذي يقيم زهده بلسانه. ذكره السلمي في طبقات الصوفية، فهناك فرق بين الزاهد والمتزهد إذ الزاهد غير راض عن نفسه فافاة العبد رضاه عن نفسه فالزاهد الحقيقي متهم لنفسه بالتقصير وقد استصغر الدنيا فلم يفرح بما أوتي منها ولم يحزن على ما فاتته منها ولم يأخذ منها إلا

ما يعينه على الخير بالنية الحسنة مع دوام المراقبة عملاً بحديث الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فالأول مقام الترغيب والثاني للترهيب وقد كان من دعاء بكر المزني لأصحابه زهدنا الله وإياكم زهد من أمكنه الحرام والذنوب في الخلوات فعلم أن الله يراه فتركه. فمن كان هذا مقامه فما مقامه في الدنيا إلا بشخصه وإلا فهو بانتظار جنة ربه، كما روى البيهقي في الشعب وعبد الله بن المبارك في الزهد وأبو نعيم وأبو بكر بن أبي شيبة وابن منده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحارثة بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: كيف أصبحت يا حارثة، فقال أصبحت مؤمناً حقاً، فقال: انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك، فقال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهارى وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أسمع أهل النار يتعاون فيها، فقال عليه الصلاة والسلام: عرفت فالزم، ثم قال: من سره أن ينظر إلى من نور الله قلبه فلينظر إلى حارثة، ذكره ابن حجر في الإصابة إلا أنه قال لا يثبت موصولاً، اهـ، إلا أن معناه جميل يستأنس به في هذا الباب، ولا سيما مع ما تقدم من العمل بالحديث الضعيف في الفضائل.

وعن الزهري أن الزاهد هو من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره، (وقد قال الجنيد سيد الطائفة الشكر أن لا تعصي الله بنعمته). وقال سفيان بن عيينة الزاهد من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى من الصبر. رواهما أبو نعيم في الحلية، وقال يحيى بن معاذ في الزاهد حقاً إنه من يكون على ترك الدنيا أحرص من الحريص على طلبها، وقال رجل لذي النون متى أزهد في الدنيا قال متى زهدت في نفسك، وقال أبو بكر الوراق الزهد ثلاثة أحرف أما الزاي فترك الزينة وأما الهاء فترك الهوى وأما الدال فترك الدنيا. اهـ.

أما الدنيا فهي ما حواه الليل والنهار وما أظلمته السماء وأقلته الأرض وليس المراد بالزهد ودم الدنيا ذم ما حواه الليل والنهار وما أظلمته السماء والأرض مطلقاً بل الذم راجع إلى أفعال أكثر بني آدم الواقعة في الدنيا لأن غالبها يقع على ما تضر عاقبته ويفسر معنى الزهادة في الدنيا حديث ابن ماجه والترمذي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (على ضعف في إسناده لا يضر في الفضائل لضعف عمرو بن واقد) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا في إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك. قال هشام كان أبو إدريس الخولاني يقول مثل هذا الحديث في الأحاديث كمثلاً للإبريز في الذهد؛ إلا أن الصحيح أنه موقوف على أبي مسلم الخولاني كما رواه أحمد في الزهد.

وكان أبو سليمان الداراني يقول لا تشهد لأحد بالزهد لأنه من أعمال القلب، اهـ. قد تضمن هذا الحديث تفسير الزهد في الدنيا بثلاثة أمور كلها من أعمال القلب دون الجوارح:

أولها أن يكون العبد بما عند الله أوثق منه بما عنده وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوته فإن الله هو الذي يرزق العباد وقد قال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله

رزقها، وقال الإمام أحمد أسر أيامي إلي يوم أصبح وليس عندي شيء. وقال الفضيل بن عياض أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل وقال الفتوح هو الزهد وهو الغنى، ذلك أن من تحقق عنده ثقة القلب بالله تعالى رضي بما دبر الله له بتدبيره الأزلي فانقطع عن التعلق بالمخلوق لأنه لا يغير شيئاً من تقدير الله فلم يمد يده إلى ما حرم الله تعالى لأنه إن نفع في العاجلة فإن عاقبته ليست حميدة والعاقلة لا ينظر إلى عاجل أمره دون أجله بل ينظر إلى عواقب الأمور، وقد كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تعليماً لأمته: اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، رواه أحمد، فمن كان كذلك كان زاهداً في الدنيا حقيقة لثقة قلبه بما عند الله تعالى وهو الغنى حقيقة وإن لم يكن عنده من الدنيا شيء لحديث أبي هريرة مرفوعاً ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس رواه الشيخان.

ثانيها أن يكون العبد إذا أصيب بمصيبة في أمر دنيوي من فقد المال أو الولد أرغب في ثواب الآخرة منه في بقاء ما قد فقده، وهذا من كمال اليقين ويؤيده حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يصيب منه رواه البخاري.

ثالثها أن يستوي عند الإنسان من حمده في الحق أو ذمه، ذلك أن حب المدح وكرهية الذم من أمارات الإقبال على الدنيا إذ قد يفعل الحرام رجاء المدح أو يغفل الحق خشية الذم ومن لم يكن على هذه الحال كان ممن تعلق قلبه برضا المولى سبحانه لا بمحمدة الناس وقد روى الترمذي في الزهد عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، قال القشيري في الرسالة سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول الساكت عن الحق شيطان أخرس.

وقال إبراهيم بن ادهم الزهد ثلاثة أصناف فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض الزهد في الحرام والزهد الفضل الزهد في الحلال والزهد السلامة الزهد في الشبهات. رواه أبو نعيم في الحلية ويدخل في الزهد في الحرام الزهد في الشرك وهو أفضل الزهد لأنه يترتب على عدمه الخلود في جهنم أبداً بخلاف عدم الزهد في الحرام إذ قد يغفر لمواقع الحرام بمحض فضل الله أو بالشفاعة الثابتة في الكتاب والسنة.

أما من ترك الحرام فقط فهل يقال له زاهد، قال الزهري وابن عيينة وغيرهما نعم، وقال يوسف بن أسباط وغيره لا يكون زاهداً حتى يزهد في المباح وإن لم يكن حراماً.

واعلموا رحمنا الله وإياكم أن أهل الزهد في فضول الدنيا أقسام:

- منهم من تأتبه الدنيا فيمسك منها ما يتقرب به إلى الله في نفقة واجبة أو صلة رحم أو تجهيز غاز في سبيل الله تعالى كما كان كثير من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، فقد كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما من هذا الصنف وكان قلبهما متعلقاً بطاعة الله في أموالهما وفضلهما لا ينكر.

- ومنهم من يخرج من يده ولا يمسكه، وهؤلاء نوعان: منهم من يخرج إيثاراً واختياراً ومنهم من يخرج مغالباً نفسه، قال الجنيد الأول أفضل لتحقيق مقام السخاء والزهد عنده، وقال ابن عطاء الثاني أفضل لمجاهدته نفسه، وفي كلام الإمام أحمد ما يدل على ذلك.

- ومنهم من لم يحصل له شيء من الفضول وهو يأبى تحصيل ذلك مع استطاعة أو من دونها، والأول أفضل ولهذا قال كثير من السلف إن عمر بن عبد العزيز أزهّد من أويس، وإن كان أويس أفضل من عمر لحديث خير التابعين رجل يقال له أويس رواه مسلم، ومن المقرر أن المزية لا تقتضي التفضيل. هذا وقد قال إبراهيم النخعي بتفضيل من طلب الدنيا من حلال ليصل رحمه، وقال الحسن من تجنبها كان خيراً ممن طلبها، وفيه نظر وقيد ذلك أن من النفقة ما هو واجب عيني كالنفقة على الفروع ممن هم دون البلوغ أو الأصول الفقراء وهو أفضل من تجنب طلب تحصيل المال، وفي النسائي وابن ماجه إن أطيّب ما أكلتم من كسبكم، اهـ. ولأن يكسب الرجل بالحلال خير من أن يكون عالة يطعمه الناس حياء وهو قادر على الكسب لأن هذا سحت، وفي البخاري من حديث كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به، ومن كان كذلك لم يكن زاهداً حقاً بل كان متطفلاً، وفي البخاري اليد العليا خير من اليد السفلى.

وقال سعيد بن جبير متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه. ويشهد لذلك حديث ابن ماجه والترمذي الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً، وفي رواية للطبراني إلا ما ابتغي به وجه الله قال ابن رجب ومعنى ملعونة أي مبعدة عن الله لأنها تشغل عنه تعالى إلا ما استتني في الحديث.

وقال الحسن الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، وقد دخل بعض الناس على رجل صالح فقالوا ما نرى بيتك إلا بيت مرتحل، فقال بل أطرّد طرداً. فلينظر العاقل إلى مراقبة هذا الرجل نفسه رحمه الله تعالى.

9 - الزهد على غير سنة ما حكمه:

إن الله قد أرسل النبي مبيناً أحكام الدين فقال عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وفي حديث عائشة عند الشيخين من عمل عملاً ليس عليه أمرنا هذا فهو رد، فمن أراد جميل الثواب ما أمكنه ذلك إلا بصدق اتباع من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد قال سيد الطائفة الإمام الجنيد كل الطرق مسدودة إلى الله إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك أن الله جعل زينة الدنيا بلوى للعباد ليحيى من حي عن بينة وما ربك بظلام للعبيد قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً، اهـ، ولم يقل لنبلوهم أيهم أكثر عملاً ذلك أن من شرط قبول العمل أن لا يكون فيه رياء ولا بدعة كما في حديث إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه قيل وكيف يتقنه يا رسول الله قال يخلصه من الرياء والبدعة، رواه البيهقي في الشعب عن عائشة رضي الله عنها ومصادقه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا

رسول الله اعدل فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فقال عمر يا رسول الله انذن لي فيه فأضرب عنقه فقال دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم (الترقوة بفتح التاء هي العظم بين النحر والعاتق وهو بين المنكب والعنق) يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم قال يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد فأشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا، اهـ. وكذا يدل على أن الزهد لا يكون بمخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني.

والزهد في الدنيا قد يقع ممن لا يميل طبعه إلى الإكثار من الملذات ممن لا يؤمن بالآخرة والمعاد قائلين إن من استكثر من الدنيا زاد همه لفراقها فأمرؤا بالنقل منها لما يدل عليه العقل من أنه لا ينبغي الاستكثار منها، لا اتباعاً لسنة سيد المرسلين التي يؤيدها العقل السليم فلا يكون زهدهم هذا على الوجه المحمود إذ أنهم تركوا الزهد الواجب في الكفر فلم ينفعهم الزهد في المأكل والمشرب والملبس إذ لا ثواب إلا بالنية للحديث المشهور إنما الأعمال بالنيات، والكافر ليس من أهلها لشروط الإيمان في قوله تعالى: ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة.

10 – أيهما أفضل التوكل أم الكسب؟

اختلف العلماء في ما هو أفضل الكسب أم التجرد للعبادة مع التوكل وقد تقدم تفصيل بعض ذلك في من عليه نفقة واجبة فلم يؤدها فإنه يكفيه ذلك لدخول النار لحديث أبي داود وأحمد كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت، أو أكل أموال الناس بالباطل فإنه لا خير فيه ولا يكون تقياً فضلاً عن أن يكون زاهداً.

وقد فصل في ما هو أفضل الإمام محمد بن الحسن المجتهد في كتابه الكسب وفيه كلام نفيس، إلا أنه يحسن هنا ذكر ما ختم به الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد الرملي الشافعي رحمه الله تعالى أرجوزته في الفقه الشافعي فإن فيها فصل القول في هذه المسألة:

واختلفوا فرجح التوكل	وآخرون الاكتساب أفضل
والثالث المختار أن يفصلا	وباختلف الناس أن ينزلا
من طاعة الله تعالى آثراً	لا ساخطاً إن رزقه تعسراً
ولم يكن مستشرفاً للرزق	من أحد بل من إله الخلق
فإن ذا في حقه التوكل	أولى وإلا الاكتساب أفضل
وطالب التجريد وهو في السبب	خفي شهوة دعت فليجتنب
وذو تجرد لأسباب سأل	فهو الذي عن ذروة العز نزل

والحق أن تمكث حيث أنزلك حتى يكون الله عنه نفلك

ويحسن هنا ذكر الحديث الذي رواه الترمذي في كتاب الزهد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان أخوان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكان أحدهما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلك ترزق به قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وفيه دلالة على المراد مما قد تقدم بيانه إذ لا ينكر على من كان على قدم عيسى عليه السلام من التجرد للعبادة بل هو حال أكثر الصحابة ومن اتبعهم بإحسان من أهل الله تعالى رضي الله عنهم ممن ملأ الله تعالى قلوبهم نوراً وغنى بما آتاهم الله من قوة اليقين رضي الله تعالى عنهم وعنا بهم، وفي الحديث إن الله إذا أحب عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء، رواه الترمذي والحاكم.

11 - فائدة:

قد قدمنا أن الزهد محله القلب وأن الإنسان قد يكون فقير الحال متكبراً غير زاهد، وقد يكون غنياً زاهداً بل قدوة في الزهد والتقوى مصداق حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح، رواه أحمد، نقول إن هذا كان حال أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه مع أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ذلك أنه فقد من حلقة فعله أن أباه صرفه للكسب فأرسل في طلبه وأعطاه مائة درهم وقال له: الزم الحلقة وإذا نفذت فأعلمني وكان يتعهده بالمال وكأنه يخبر بنفادها حتى استغنى أبو يوسف وتمول، وهذا كان حال مالك مع الشافعي إذ كان يرسل له المال من المدينة إلى مصر إلى أن توفي مالك رضي الله عن الجميع، وقد كان للفخر الرازي الإمام المعروف ألف مملوك غير الجواري والخدم والخيول وكان الإمام المجتهد الليث بن سعد يذهب إلى الحج بسفن ثلاث إحداها لنفسه وأهل بيته والثانية للخدم والثالثة لضيوفه ولم يجب عليه زكاة قط لكثرة صدقاته، وكان للإمام محمد بن الحسن الشيباني أكثر من ثلاثمائة جارية وكانت معيشة أشهب صاحب مالك معيشة الملوك، فليس للإنسان أن يسيء الظن ولو بقلبه بهؤلاء العلماء فإن ذلك من الجهل والغيرة، إذ لو حصل للمعترض مثل ما حصل لهم من الدنيا ما رده أبداً بل ما كان لينفقه في وجوه البر كما أنفقوه لفساد قلبه ثم إن الدنيا قد جاءتهم من غير طمع فكان الأدب مع الله تعالى قبول ما جاء منها والإنفاق في وجوه البر التي أمر الله تعالى بها ذلك أن الأولياء على قدم الأنبياء عليهم السلام فمنهم من لم يكن له مال كسيدنا عيسى الذي كان يأكل مما تنبت الأرض ما لم تمسه نار ومنهم من كان ذا مال كسيدنا سليمان عليهما السلام وكذلك حال الأولياء مختلف مع أن الفقر غالب أحوالهم إلا أنه كان منهم من هو غني كما تقدم وكذلك كان حال أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه إذ كان يلبس لباس أهل الجد لئلا يظن به أنه يطلب المال بإظهار فقر الحال ليس كمن يأكل بدينه إذ لا تجوز الشحاذة لمن كان غنياً بمال أو بحرفة ولا يكون معذوراً في ذلك بالتفرغ للعبادة أو الانتساب للسادة الصوفية سواء من أهل الطريقة أو غيرهم، ومعلوم أن من يأكل الدنيا بدينه أقبح ممن يأكل الدنيا بدنياه، وقد كان الفضيل بن عياض يحمل الماء من العين إلى دور الناس فيتقوت هو وعياله من ثمن ذلك فقيل له إن فلاناً ترك الحرفة فلم يضيعه الله تعالى فقال الفضيل هذا رجل ربما أكل بدينه خبزاً وإداماً إلا أنني والله لأن أكل الدنيا بالطبل

والمزمار أحب إلي من أن آكلها بديني. ذكرها الشعراني في اللطائف. وهذا مصداق ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوله في دعائه تعليماً لأئمة اللهم إني أعوذ بك من فتنه الغنى وأعوذ بك من فتنه الفقر، رواه البخاري. وكان بعض العلماء يأخذ عوضاً على التحديث كأبي نعيم الفضل بن دكين سمع أبا حنيفة والأعمش وهو من كبار مشيخة البخاري وروى عنه أحمد وابن المبارك وإسحق وغيرهم من الأعيان، وكان يقول يلومونني على الأخذ وفي بيتي ثلاثة عشر إنساناً وما في بيتي رغيف، ذكره الصنعاني في توضيح الأفكار، فهذا ليس من أكل الدنيا بالدين بل قد بين في ذلك عذره، وكان من حال بعض غيره حال من مدحهم الله في كتابه فقال عز وجل يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، كما كان حال أبي إسحق الشيرازي إمام الشافعية المشهور الذي بلغ من شدة فقره مع إمامته أنه كان لا يجد القوت ولا الملبس قال أبو العباس الجرجاني كنا نأتيه فيقوم لنا نصف قومة لا يعتدل كي لا يظهر منه شيء من العري، ذكره ابن السبكي في الطبقات وكان كما قال شيخه الإمام أبو الطيب الطبري: قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل

12 - خاتمة:

علم مما تقدم أن الزهد أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل وأساسه التقوى وهي خوف الله ورأس الحكمة وجماع ذلك كله في حسن متابعة من أرسله الله رحمة للعالمين بدليل قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أبواب الخير كلها وكيف ينبغي للمؤمن أن يكون في هذه الدار فقال صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، فإن من في هذه الدنيا ضيف مرتحل ولا يحل للضيف أن يستعمل ما لا يملك إلا على ما هو مأذون له به، والدنيا عرض زائل يأكل منه البر والفاجر ومصداق ذلك حديث الترمذي المتقدم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء، وقال صلى الله عليه وسلم إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، رواه مسلم وغيره.

وقد قال أحمد الرفاعي الزاهد ليس الزهد أن تختط لك كوة في الجبل وتلبس الخشن وتأكل الخشن وإنما أن تنفض يديك من الدنيا فلا ترفعها إلى قلبك ولو ملكتها بحذاقها وإن من علامة الزهد قول الحق لأن كلب الدنيا خائف على جيفته فيسكت عن قول الحق ويوافق أهل الباطل والزاهد بها لا يخاف على شيء منها فيقول الحق وينصر الله تعالى الحق بأهل الحق. اهـ.

فمن كان على قدم هؤلاء السادة فاجتهد في العبادة كان قريباً من الله تعالى، قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر: والمطيع قريب من الله تعالى بلا كيف، اهـ. ومن كان هذا حاله دخل الجنة بفضل الله ونال الزيادة، قال تعالى: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، والحسنى هي الجنة وأما الزيادة فهي رؤية الله تعالى الذي ليس كمثله شيء، وفي الفقه الأكبر: ويراه (أي الله) المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة. اهـ. وقد استدل الإمام الشافعي على إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى بأعينهم وهم في الجنة بقول الله تعالى: كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، قال الشافعي في أحكام القرآن: لما

حجب الله الكفار عن رؤيته في السخط دل على أن المؤمنين يرونه في الرضا، اهـ، وهو دليل واضح لمن نور الله قلبه.

وإنه ليحسن في هذا المقام تبيان أن ما تقدم ذكره هو طريق الصوفية الحقيقيين من أهل الله تعالى من العارفين لتلازم الزهد والتصوف، وقد قال الإمام تقي الدين السبكي في حد الصوفي إنه من لبس الصوف على الصفا وسلك طريق المصطفى وأطعم الهوى ذوق الجفا وكانت الدنيا منه على القفا، ذكره في الطبقات، وفيها له رضي الله عنه:

تتازع الناس في الصوفي واختلفوا قدماً وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتى لقب الصوفي
وهذا الإمام السبكي قد وصفه الذهبي فقال فيه:

ليهن المنبر الأموي لما علاه الحاكم البحر التقي
شيوخ العصر أحفظهم جميعاً وأخطبهم وأقضاهم علي

فعلم أن هناك فرقاً كبيراً بين الصوفي والمتصوف كما هو الفرق بين الزاهد والمتزهد، فليس كل من انتسب إلى الطريقة صوفياً بل من كان محباً صادق الاتباع لهؤلاء الأعلام من أهل الله تعالى رضي الله عنهم اتبعهم في الحق من دون أن يعتقد فيهم العصمة من الغلط، وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يقول ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك غير صاحب هذا القبر، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلم بذلك حال كثير من المنتسبين إلى المشايخ من التعصب لمشايخهم وهذا لا خير فيه فإن من لم يعلم مريديه التواضع وقبول الحق بحاله ومقاله لم يكن من المرشدين الكمل الذين اقتدوا بالسلف الصالح المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله عليهم السلام، وقد قال الله تعالى: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده.

فمن كان حاله الصدق فإنه يدخل في حديث المرء مع من أحب، رواه الشيخان وغيرهما، وعلامة ذلك التواضع وهو تواضع القلب، وفي الحديث ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله، رواه مسلم وأحمد، ويفهم من منطوقه أنه النهي عن الكبر كما جاء ذلك صريحاً في أحاديث كثيرة منها الكبر بطر الحق وغمط الناس، رواه مسلم، أما بطر ففي المصباح المنير أن معناه أنه صار أشراً أي كفر النعمة فلم يشكرها ومعناه هنا رد الحق على قائله احتقاراً له وهو معنى غمط الناس أي احتقرهم وازدرى بهم قاله في الصحاح.

وفي رسالة المسترشدين للمحاسبي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا خير في قوم ليسوا بناصرين ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين.

وليعلم أن الغالب على أهل الله تعالى حب الخمول لا يحبون الشهرة ولا إظهار الكرامة إلا لضرورة شرعية كتبكييت كافر أو نصره محق أو ملهوف في موضع محنة أو نحو ذلك لأن حب الشهرة من شهوة النفس التي يتجنبها من كان تقي القلب، وهو حال السلف من التواضع وإنكار الذات بل اتهام النفس مع كثرة الاستغفار والبكاء من خشية الله تعالى رضي الله عنهم ورحمنا بهم في الدنيا والآخرة وقد كان محمد بن واسع يقول لابنه أما والدك فلاكثر الله في المسلمين من أمثاله، ذكره ابن رجب.

هذا وليعلم كذلك أن ما يسن فعله اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يناقض الزهد كالتطيب فإنه من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم وكذلك لا ينافي الزهد أن تتطيب المرأة لزوجها أو تتزين له لتعف نفسها وإياه عما حرم الله بل هو مستحب لكل منهما أن يري صاحبه ما يحب لقول الله تعالى: ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وفي حديث مسلم أن بعض الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر، اهـ. فجزي الله رب العرش خير جزائه من علم أمته الخير وهداها بفضل الله إلى الصراط المستقيم الذي لا يضل من اتبعه.

وقد قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إن من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها.

وفي الحلية لأبي نعيم أن يحيى بن معاذ رضي الله عنه قال: لو يسمع الخلائق صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حزناً، وقال الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموتى نادماً مع الخاسرين. ومن بليغ كلام علي رضي الله عنه الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، ذكره السخاوي. وفي البخاري لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. وليتفهم العاقل قول الله تعالى ونهى النفس عن الهوى إن الجنة هي المأوى.

وفي الختام أعوذ بالله من حسن القول مع سوء العمل وأسأله الغفران من كثرة الزلل بسيد الأنبياء والأولياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين.